مرحلة المنهجية العلمية و طرق البحث العلمي في العلوم الاجتماعية في تفسير و تحليل النظم التعليمية

وهي تضرب بامتدادها التاريخي منذ منتصف القرن العشرين حتى وقتنا الحاضر، فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وبصفة خاصة منذ عام 1950 ازدهرت العلوم التجريبية في مجال العلوم الاجتماعية ويرجع ذلك إلى توافر المعلومات للباحثين والتقدم التكنولوجي في وسائل جمع وتخزين واسترجاع ومعالجة البيانات، والاستخدام الواسع للوسائل الإحصائية الحديثة، ومن ثم وجد اتجاه يدعو إلى التجديد في المعالجة والمقارنة للدراسات التربوية والانتقال بها من مجرد دراسة من الدراسات الإنسانية إلى دراسة تجريبية تخضع لأساسيات المنهج العلمي التجريبي التي تعتمد في تفسير نتائجها على الإحصائيات والمعلومات الكمية وتتجاهل ما يعتمد فيها على التفسيرات النظرية.

وقد اتسمت هذه المرحلة بعدة سمات منها: الإدراك المتزايد لأهمية وضع الفروض في البحوث التربوية وفي الاختيار الدقيق للحالات، وفي توجيه العناية لوضع المواصفات للمتغيرات، ثم في البحث عن تقسيرات كمية للعلاقات بينهما، واخيرا الانتقال من مرحلة الوصف وحب الاستطلاع والجمع غير المقصود عن النظم التعليمية إلى مرحلة الجمع المنظم الذي يمكن الإفادة منه في نظم التعليم.

ومن أشهر من عرفوا في هذه المرحلة وأخذوا بهذا الاتجاه "**بيرداي**" وهو احد المربين المعاصرين من أصل بولوندي، عمل أستاذ "التربية المقارنة في كلية المعلمين بجامعة كولومبيا بنيويورك" وله كثير من المؤلفات فيها

١الوصف: بمعنى عرض المعلومات وما يتطلبه ذلك من زيارات أو قراءات أو تسجيل ثم إلى وضع فروض معينة أو تعميمات أولية تحتاج إلى اختيار.

- **التفسير:** بمعن تحليل المعلومات التربوية في ضوء ظروف كل بلد ومن خلال الجوانب المختلفة للمجتمع.

ويرى البعض أن بيرداي يربط بين فترة القوى والعوامل التاريخية وبين فترة جديدة، تهتم بالبحث عن اتجاه علمي تجريبي للدراسات التربوية المقارنة وهذا الاتجاه يعالج منهج القوى والعوامل ويهتم باستخدام العلوم الاجتماعية والإنسانية استخداما وظيفيا فيها.

كما قدم **آرثر موهلمان ather moehlman** أعمال مهمة في مجال المقارنة حيث اعتبر أول من خطا خطوة إيجابية على طريق المنهجية الحديثة في الدراسات التربوية المقارنة، من حيث تقديمه لنموذج يمكن استخدامه في دراسة وتحليل النظام التعليمي والعوامل المساهمة في تشكيله.

ويتركز اهتمام **موهلمان** حول تصنيفه للمشكلات التعليمية وتحليل النظم التعليمية على أساس إطار أو نموذج نظري وهو يرى أن فهم النظم التعليمية يتطلب تعاون علماء كثيرين في مجالات متعددة مترابطة بعضها ببعض، وهذا التعاون في نظره مطلوب لمساعدة الباحث في مجال التربية المقارنة في بحوثه وتحليل المشكلات التعليمية الرئيسية للنظم المختلفة.

وتعتمد منهجية موهلمان على تشكيل إطار نظري، يتم بناء إجراء عمليات التحليل للنظام التعليمي، والهدف من ذلك الإطار النظري ضمان التحليل المنظم للاتجاهات المعاصرة، والعوامل طويلة المدى، مثل العوامل العلمية والتكنولوجية والفنية والاقتصادية، مما ساعد على ضمان توجهات مستقبلية صحيحة، ويؤكد على أهمية تحسين جميع جوانب النظام التعليمي وليس التطوير في أحد الجوانب دون الآخر، وتشتمل هذه الجوانب ثلاث تصنيفات أساسية هي:

– الموجهات (موجهات النظام التعليمي) يشمل الفلسفة والتشريعات والقوانين والتمويل اللازم.

– التنظيم ويشمل الهيكل العام للنظام التعليم، تعليم ما قبل المدرسة، التعليم الابتدائي، التعليم الثانوي التعليم العالي ووسائل الاتصال الجماهرية.

– العمليات تشمل الطلاب، المعلمين، المناهج، طرق التدريس، الوسائل التعليمية، أساليب التقويم، والامتحانات، التوجيه، الإشراف والإدارة.

ويؤكد موهلمان أن مجرد مقارنة هذه المكونات أو التصنيفات بين الدول المختلفة يعد عملا سطحيا غير كاف، وانما الأهمية هي الإجابة عن مدى مساعدة هذه المكونات في صورتها الكلية للدولة على حل القضايا العليا التي تثيرها الجوانب المختلفة للعوامل بعيدة المدى في ثقافة الأمة.

تأسيسا على ما سبق، نستطيع القول أن الدراسات التروية المقارنة في خلال قرن ونصف من الزمن وخلال مراحلها المختلفة تطورت من مرحلة الفضول وحب الاستطلاع إلى مرحلة التحليل العلمي الأمر الذي يمكن إدراكه من ثلاثة أبعاد هي:

- **من الجمع المشوش غير المتجانس للمعلومات إلى جمع يقوم على الثقة والتمييز.**
- **من مجرد عمل إنساني في التعاون والتفاهم الدولي إلى مهنة الاحتراف.**
- **من التحليل القائم على الحدس والمصادفة والتخمين إلى عمل تربوي فني يقوم على التفسير العلمي الدقيق.**